# هذا أبى

مراد صبحى

.. لم ار ابى فى صغرى — وهو يؤدى عمله «كطبال» فى فرقة للعوالم . قبل تلك الليلة التى ذهبت فيها بصحبته ... الى ذلك المنزل المقام فيه « الفرح » لاول مرة .

.. وكانت كل معرفتى بعمله ... تنحصر فى تلك الاخبار .. التى كان ابى يقصها علينا ... عن الافراح ... والليالى الملاح ، التى يحييها مع زملائه ، وما قد يحدث فيها من نوادر ... وطرائف ... لا تخلو منها عادة !

... وكنت احيانا — اذهب اليه فى ذلك المقهى المعروف بزبائنه من اولاد «الكار» الذين يتخذونه مقرا ومحلامختارا لهم ، فى الليالى التى لايوجد فيها عمل لديهم — وما اكثرها . فأجده وقد اتخذ ركنا منها ، وراح يدرب اصابعه على « طبلته » العتيدة الأثيرة الى نفسه .. التى لا تفارقه أبدا ، مشاركا احدهم فى التدريب على غناء اغنية جديدة لمطرب كبير . او «منولوج»حديث «لمنولوجست» معروف .

وفى تلك الليلة ... دخل ابى علينا المنزل مبكرا ، ولا تزال آثار « البودرة » بادية فوق وجهه . فقد كان من عادته الا يعرض لموسي الحلاقة الا اذا كان لديه عمل،ثم ابدل الصندل الذى ينتعله بالحذاء « الاجلسيه الاسود » اللامع ، وجلبابه الزفير بآخر ابيض حريرى نظيف مكوى مخصص للحفلات ، وارتدى فوقه معطفه الحالك السواد ، واحكم وضع طربوشه فوق راسه بميل كبير نحو احد حاجبيه وقد تدلى الزر فوق اذنه يداعبها كالعاشق — بحنان .

وهكذا اكمل ارتداء زيه الرسمى ... واصبح على «سنجة عشرة» ... وجلس فى انتظار من سيذهب معه الى الفرح ... وهو يسلى نفسه بتدليك جلد الطبلة براحة يده بين الحين والحين ، ليبعث فيها الدفء فتشد وينجلى صوتها ... وطال عليه الوقت ... ولم يحضر أحد ، فشعر بدبيب السأم والملل يتسللان اليه ، وتحرق شوقا للذهاب وقد استعاد فى اذنيه صوت من كان يصف له الاستعدادات الكبيرة التى اقامها اصحاب الفرح لهذه المناسبة السعيدة . واخيرا لم يجد بدا من اصطحابى معه لاول مرة . موصيا اياى

بضرورة مراعاة اصول الادب واللياقة في تصرفاتي ولم اصدق اذني لفرط السعادة التي غمرتني .

فقد آن لي ان ارى ، رأى العين ... هذه الدنيا الساحرة — دنيا الافراح بعد ان سمعت من ابي عنها الكثير .

ولست اذكر كيف وصلنا الى المنزل المنشود لارى واجهته وقد غمرتها الانوار الباهرة الملونة ، التي خطفت بصري ، واستولت على مشاعري ، وجعلتني احس بالدماء تجري في عروقي بحرارة ونشوة !! . وسمعت افراد الفرقة تنادي على ابي :

— تعالى هنا يا مصطفى ... انت اتاخرت علينا خالص .

ودخل ابي معهم في مناقشة طويلة ، حول التأخر عن الموعد ، ومن هو المخطىء .. ومن هو المصيب ، بينما كان يتخذ مجلسه الى جوارهم امام المدعوين فوق نصب مرتفع — اشبه بخشبة المسرح بينما اندسست وسط صفوف المدعوين ، وانا انيه فرحا . . واكاد اميل على آذان الجالسين الى جانبي لاقول لهم بكل فخر ... انني ابن مصطفى .. هذا « الطبال » المعروف .

وبدا الحفل بتقديم رقصة بلدية من « البانعة » — راقصة الفرقة ومطربتها الاولى — التي راحت تتثنى وتتمايل .. على انغام الموسيقى ... وضربات انامل ابي المدربة على طبلته العتيدة ... وانتشيت بهذا الجو المشحون بمشاعر الفرح .. والسعادة ، وعجبت كيف تدر لي ان اظل كل تلك السنوات الماضية دون ان اتمتع بالتواجد في مثل هذه الليلة ... ولو حتى مرة كل حين وحين !

وانتهت « البانعة » من تقديم رقصتها وتبادل معها افراد الفرقة الآخرون بقية فقرات البرنامج ، الذي ساهم فيه والدي بنصيب الاسد دون ان ينال قسطه من الراحة ... فلا غنى للفرقة عن اصابعه الماهرة وضرباتها البارعة فوق الطبلة يصحبها هزات جسمه المتتابعة الى اعلى واسفل ، ويمينا ويسارا ، وخلف وامام وكأنه جالس فوق زميلك تبعا لما تتطلبه اصول الصنعة والايقاع المطلوب وامتدت السهرة وامتدت حافلة بالوان المسرات والموسيقى والرقص والطرب والفكاهة تتخللها لحظات لجمع «النقطة» من المدعوين تهبط خلالها «البانعة» الى صفوفهم وتتثنى بجسمها اللدن فوق صدر هذا او ذاك فما تلبث الايدي ان تمتد الى الجيوب وتخرج منها ما تجود به انفسهم ، او ما يحبون ان يعرف عنهم من الكرم او اعتزازهم للعريس السعيد فيلصقون الاوراق المالية المتفاوتة القيمة تبعا لتفاوت درجة اظهارهم لمشاعرهم فوق جبين الراقصة او يضعونها في فتحة ثوب صدرها الواسعة التي تكشف عن جزء كبير من نهديها الناضجين فتنقلت برشاقة ودلال لتتبل النقطة بحمد وشكر وتناولها لرئيس الفرقة الذي يمسكها بين اصابعه مظهرا قيمتها للملأ وهو يردد كلمات صاحبها في تحية العريس واهل العريس « والجدعان » « والحتة » « واللي شرفونا » و « انا وانت » والف مرة « وسلام ياعم » .

وتعزف الموسيقى جزءا من السلام الوطني قد يطول او يقصر حسب قيمة النقطة ثم تميل « البانعة » على آخر وثالث ورابع ، وتتكرر التحية ويتكرر السلام ، حتى اذا ما احست البانعة بأن

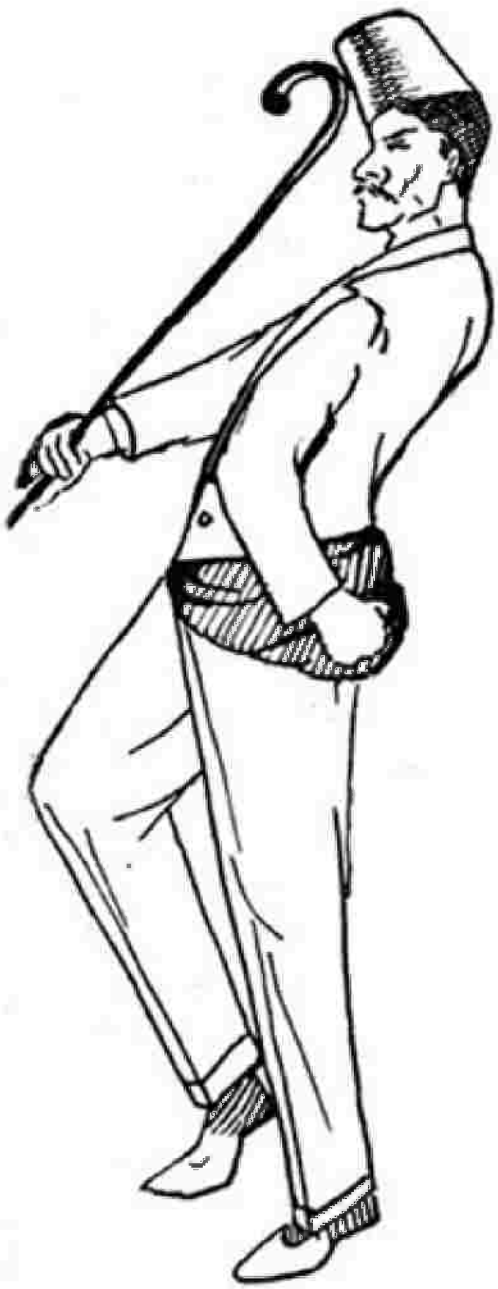

المدعوين قد اكتفوا ولو مؤقتا بما تقدمها اياه فى هذا الشـــوط ، عادت تعتلى النصب وتوالى تقديم رقصاتها واغانيها ونكاهاتها بالتناوب مع زملائها وزميلاتها ومضت الساعات تلو الســـاعات حافلة المتعة والهناءة وقاومت رغبتى القاهرة الى النعاس بعزيمة قوية حتى اظهـــر امام والدى بمظهر الكبار الذين يعتمد عليهم فلا يحرمنى من مـــــحبته الى الافراح التالية . وفجأة تصاعدت اصوات عابثة متضاحكة من جماعة من الشباب تبدو عليهم آثار الخمر يوضـــوح من عباراتهم وتصرفاتهم ، تقول بصوت منغم رتيب .

ـــ عاوزين صفصف ، عاوزين صفصف
عاوزين صفصف .

وتساءلت فى نفسي عمن يكون هـــذا الصفصف الذى يطالب المدعوون بسماعه بمثل هذه الضـــجة الساخرة ، وحملقت بعينى ، وتطاولت بعنقى لاراه : واذا بى اشاهد ابى يقف مترددا ليقابل بعاصفة من الضحك والتصفيق والتهريج والصفير وبدا فى القاء منلوج نكاهى وهو يهتز بجسمه الضئيل القصـــير هزات متتابعة على انغام الموسيقى ضج لها المدعوون بالضحك لكنها اثارت فى قلبى الصغير كوامن الالم والمرارة وانا ارانى اهتزازاته العشوائية هذه مثارا لضحك الضاحكين وهزء المستهزئين وسخرية الساخرين . ورغم كل ذلك كان يواصل منلوجه الذى نال كثيرا من الاستحسان ، وكثيرا ايضا من « التريقة » « والتفشات » وقارب المونولوج على الانتهاء وزادت حماسة ابى وجلبة الموسيقى الدالة على ذلك ، واذا به بحركاته شبه الهستيرية يقترب من حافة النصـــب المرتفع دون ان يدرى ، واذا بقدمه تزل فيتهاوى الى الارض على

حين غرة وكاد ان يحدث له ما لا تحمد عقباه لولا ان اسرعت ايدى القريبين منه الىنجدته فاسندته وانتشلته من سقطته فلم يصب الا بعرج ظهر اثره فى مسيره واضحا وهو يعود الى كرسيه مادا بذراعيه الى الامامايتحسس بهما الطريق ووجهه ينطق بالالم البالغ ، وعيناه الغائرتان المظلمتان تحدثان فى لا شيء .

وشاهدت كل ما حدث لابى المسكين وكادقلبى انيسقط بينضلوعى وانهمرت دموعى الغزيرة المتتابعة فوق وجنتى وانا اجد ابى الضرير الذى لايرى شيئا مما حوله يحدث له هذا الحادث المؤلم امامى الذى كاد ان يودى به لولا ستر الله ؛ ومع ذلك كله اراه يكتم آلامه واوجاعه ومشاعره واحاسيسه ازاء تحديق الأعين فيه بما تحمله من معان متباينة ، ويعود فى الحال ليستانف عمله فى سبيل لقمة العيش وكأن شيئا لم يحدث .

يا لأبى المسكين .. انني لم اشعر بفضله ومدى تضحيته وكده وسهره الليالى بطولها حتى مطلع الفجر فى سبيلى وفىسبيلاخوتىالكثيرين ووالدتى المريضة رغم عاهته ليوفر لنا جميعا بكل ما فيه من جهد أسباب العيش الى الآن وهممت بأن اترك مقعدىلاذهب اليه حتى اطمئن عليه ، واذا بأفراد الفرقة الموسيقية بصحبة والدى يعزفون مقطوعة موسيقية مرحة ليزيلوا بها آثار ما حدث منالنفوس ، ويعيدوا الى الحفل بهجته ورونقه . وما ان راى الحاضرون ابى وهو يشارك الفريق على طبلته المعهودة بأصابعه المدربة حتى قابلوه بالتصفيق الحاد الصادق هذه المرة .

واذا بأحد المدعوين يسر فى اذن رئيس الفرقة شيئا ما ، فغمز بعينه الى زملائه الذين كفوا عن العزف على الفور دفعة واحدة قبل انتهاء المقطوعة ، ولم يستمر ابى فى ضرباته الايقاعية الا اقل من القليل ريثما ادركت اذناه المرهفتان حقيقة المؤامرة فكفبدوره . وعاد الفريق الى العزف فاستأنف ابى ايقاعه ثم توقفوا ثانية على حين غرة ولكنه كان فى هذه المرة كله آذان لما سيحدث من مفاجآت فتوقف معهم فى آن واحد ، ولم يتمالك المستمعون انفسهم فانطلقوا فى تصفيق حاد طويل تتخلله عبارات الاستحسان الصادقة .

وهنا امتلأت نفسي بالفخر لموقف أبى المشرف وطردت هذه المشاعر احاسيس الالم السابقة ولم املك نفسي بدورى فغادرت مكانى مندفعا صوبه متخطيا الصفوف بلا تردد ، وارتقيت النصب المرتفع بخطوات ثابتة مرفوع الراس ، وبكل ما بى من عاطفة القيت بنفسي بين احضانه اقبله بحرارة .. وانا أهتف من اعماقى : —

— ابويا .... ابويا .

وتدحرجت عبرات الفخر من عينى .. فوق وجه أبى . الذى ضمنى الى صدره بحنان ، وبادلنى العناق وقد داخلته مشاعر السعادة والرضا .. وعادت الاشراقة الى وجهه الحبيب ، والبسمة الحلوة المعهوده عنه الى شفتيه .

وازدادت عاصفة التصفيق شده وحرارة واستمرتفترة طويلة بلا انقطاع دون ان ادرى — وقتئذ سببا لذلك .